السنة: السابعة المجلد: 07 العدد: 01 ص ص: 571- 588
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

الأدب السياسي وسياسة الادب

Political literature and the politics of literature

إسماعيل كرازدي*، مخبر الأمن في منطقة المتوسط
جامعة باتنة01 smail.krazdi@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/04 تاريخ القبول: 2021/10/22

ملخص:

يعيد هذا البحث صياغة جدلية العلاقة القائمة بين الادب والسياسية من زاوية مختلفة قائمة على التمييز بين الأدب السياسي وسياسة الأدب، بدءا بالارتكاز على مفهوم الأدب السياسي وذلك بمساءلة مضامينه المختلفة ودلالاته الملتبسة ثم وضعه في مواجهة مفهوم سياسة الادب أين يؤسس الأدب سياسة نصية مستقلة يعمل من خلالها، تتقاطع هذه السياسية مع الواقع في نقاط مختلفة عن تلك التي تتقاطع معه فيها السياسة بمعناها التقليدي، لها خصوصيتها وصيرورتها، ورغبتها في الانتماء إلى الواقع المشترك من خلال محاولة تغييره لا باعتبارها مجرد تابع لصراع سياسي راهن.

الكلمات المفتاحية: الأدب، السياسة، الأدب السياسي، سياسة الادب، توزيع المحسوس.

Abstract:

This research reformulates the dialectic of the relationship between literature and politics from a different angle based on the distinction between political literature and literary politics, starting by relying on the concept of political literature by questioning its various contents and ambiguous connotations and then placing it in the face of the concept of literary politics where literature establishes an independent textual policy through which it works ,This policy intersects with reality at

* المؤلف المراسل

different points from those in which politics intersects in its traditional sense, It has its own specificity, and becoming, and its desire to belong to the common reality by trying to change it, not as a mere follower of a current political conflict.

Keywords: literature; Politics; political literature; politics of literature; Distribution of the Sensible.

مقدمة:

أصبح اعتماد التقاطع بين الأدب والسياسة أسلوبا مهما للتفسير في ميدان دراسة الأدب والسياسة، فالأدب يؤثر في السياسة والسياسة تؤثر في الأدب وتختلف وتيرة التأثير تبعا لعدة عوامل مختلفة. فالأدب والسياسة، بوصفهما ظاهرتين اجتماعيتين، متماسان في عدة جوانب، وأقرب إلى بعضهما من نشاطات إنسانية أخرى، إلى درجة أنه أحيانا يبدو الأدب نوعا من الممارسة السياسية والسياسة نوعا من الادب، فيصبح الأديب رجل سياسة ورجل السياسة يصبح أديبا، كما أن علاقتهما قديمة يحكمها التجاذب، وتتحكم فيها عدة عناصر مرتبطة بالواقع الاقتصادي والاجتماعي، والسياسي والثقافي والحضاري للأديب والسياسي.

وتتعدد دوائر النظر عند إلقاء الضوء على الجسور الواصلة بين الأدب والسياسة وتتشعب أدوات الرصد والتحليل كلما خفيت علينا السلطة التي يكتسبها كليهما، وخاصة عندما يمسي الأدب هو جوهر الفعل السياسي ومحققا لحيثيات إنتاجه أو عندما يفرض مجال السياسة قوانين أخرى في إدارة العلاقة بين الأدب ودلالاته.

فالوقوف على الروابط القائمة بين الأدب والسياسة يمثل لحظة مهمة في سياق إعادة اكتشاف وترتيب المدركات لاتخاذ الموقف الملائم تجاه ما يحدث وفهم أسرار العلاقة القائمة بين السياسي والأديب، ومن ثمة فهم السلوكيات قبل تزكيتها خاصة أن الظاهرة الأدبية اكتسبت قيمة إضافية مع التطور التكنولوجي مما أدى لظهور خطاب جديد يحمل أمارات دالة على أن الأدب له سياسته الخاصة ورغبته في الانتماء للواقع المشترك ومحاولة تغييره.

يوضح الفيلسوف الفرنسي جاك رانسيير معنى مفهوم سياسة الادب، عندما يتدخل الأدب بوصفه أدبا في التمييز بين الصخب والكلام، بين مجموعة

تفكر في عالم مشترك وبين حيوانات هائجة أو متوجعة، وبالتالي نكون أمام تقسيم جديد للمواقع والهويات والكلام يعمل النشاط السياسي على إعادة صياغته وهو ما يسميه: " تقاسم لعالم محسوس".

عند استحضار مفهوم سياسة الادب تصبح العلاقة بين الأدب والسياسة تتأرجح بين ثلاث مستويات، الأول: عندما يكون العنصر المهيمن على النص هو إيصال الرسالة السياسية، والثاني: الانطلاق من إدراك يعي أن العمل الأدبي ممارسة لغوية في الدرجة الأولى، حتى ولو كان يتطرق لموضوع متعلق في السياسة والثالث: تدخل الأدب بصفته أدبا.

ويصبح التساؤل كما يلي: هل للأدب سياسته الخاصة والتي تختلف عن الأدب السياسي المرتبط بالمواقف والالتزامات السياسية للكتاب؟

ولمعالجة هذه الإشكالية تم تقسيم الدراسة إلى محورين: الأول يتناول مفهوم الادب السياسي ودلالاته والثاني يتناول سياسة الأدب لدى جاك رانسيير.

أولا: الأدب السياسي: دلالات ومبررات

تباينت وجهات النظر حول علاقة الأدب بالسياسة بين من يرى ضرورة قولبة الأدب وحصره في دائرته الضيقة، وبين من يرى تناقض المجالين وإمكانية استخدام أحدهما للآخر، ومن يرى تكاملهما وتبادلهما المصالح وتأدية كل واحد منهما لمهمة تخدم الجانب الآخر ولا تناقضه.

فالأدب والسياسة ظاهرتين اجتماعيتين، تشتركان في موضوع الإنسان وما يحيط به، ولما بينهما من عناصر الاختلاف والتلاقي فإن العلاقة بينهما قد تقوم على التداخل وقد تقوم على التصادم، ولكن في غالب الامر يبدو التمييز بينهما متلبس بعدة تناقضات وتعقيدات وبين هذا وذاك يغلب المعنى الشائع عندما يتماس الأدب بالسياسية ويتجلى مفهوم الأدب السياسي كتوصيف لتلك العلاقة الغير واضحة.

يطرح مفهوم الأدب السياسي في حد ذاته عدة إشكالات عن كينونته، لأنه في ظل التداخل بين السياسة والأدب من الصعب وضع حدود للمواضيع التي يشملها هذا المفهوم ودلالاته الحقيقية، فقد يعتبر الأدب سياسيا متى كان

الأدب موجها بصورة مباشرة للسياسة أو يكون غير مباشر من خلال استنباط معاني السياسي وتوجهات الكتاب، ويزاحم هذا المعنى استعمال الأدب للسياسة والسياسة للأدب.

ليس هناك استقرار على معيار واضح للقول بالأدب السياسي بل هناك من يرفض هذا المفهوم ويؤكد بأنه لا وجود له وأن السياسة لا علاقة لها بالأدب والعكس صحيح، بينما هناك من يدعم ذلك مع القول بأولوية طرف على آخر في ظل الظروف الاجتماعية والسياسية القائمة، فالسياسة تؤثر في الأدب ولكنها قد تستغله والأدب يؤثر في السياسة ولكنه قد يستغلها، بل أكثر من ذلك فهناك من طالب بأن تلتحم السياسة بالأدب ليصدرا من معين واحد، فيغدو الأدب وجها للسياسة والسياسة وجها للأدب.

وهناك من يفرق بين الأدب السياسي والأدب ذو البعد السياسي، فالأدب السياسي يحاول أن يؤدي دورا مباشرا في السياسة عبر صيغته ومضمونه ذي العلاقة بأيديولوجية معينة، بينما يؤدي الأدب ذو البعد السياسي دورا غير مباشر عبر سعيه لكشف وتعرية قضايا معينة تشكل موضوعا سياسيا، ولكن من دون أن يأخذ خطابه صيغة المباشرة (مفيد أحمد، 2020.10.15).

يمكن تعريف الادب السياسي بأنه الأدب الذي يشتبك مع القضايا السياسية التي تهتم بالحالة العامة في أي مجتمع، كقضايا الحرية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية والحياة التشريعية وسيادة دولة القانون، ويكون ذلك من خلال معالجة أدبية لهذه القضايا من خلال إطار اجتماعي وعلى لسان الشخوص التي تظهر في العمل الأدبي، مهما كان نوع هذا العمل الأدبي (دار الاعلام العربية، 2011).

ويتجلى الأدب السياسي من خلال معنيين، الأول يرتبط بما يفرزه النشاط الأدبي من خلال استقرائه للواقع ومعايشته للأحداث السياسية فيتأثر ويؤثر ويكون ذلك بصورة تلقائية والثاني معنى مقصود ينبثق من سيطرة قد تكون من الأديب أو من السياسي.

1ـ الأدب والسياسة على نفس الخط

انطلاقا من أن التكامل المعرفي بين كل حقول العلوم الإنسانية مطلوب فإن هناك من يعتبر أن وضع السياسة باعتبارها فن الفعل والأدب باعتباره الفعل يكون في نفس الخط، وعلى السياسي أن يعرف الصياغة الأدبية وأساليب الخطاب والبيان، ويقول الكلمة المناسبة للشخص المناسب في السياق المناسب و في المكان المناسب، وعلى الأديب أن يكون ملم بالعلوم السياسة ونظرياتها وتطبيقاتها، و عارفا باللغة الدبلوماسية والخطاب السياسي، و مطلعا على لغات وثقافات الشعوب، ومواكبا لتطورات الحياة السياسية وتعقيداتها (زرِؤم، 2015، 202) .

وكنتيجة لهذا التكامل المعرفي كان للخلافات السياسية تأثير واضح في النهضة الأدبية عالميا وعربيا، كما كان الانتصار للمذاهب الأيديولوجية وللأحزاب السياسية حضور قوي في نهضة الأدب وانتعاشه وقديما طالب العقلاء أن تلتحم السياسة بالأدب، ليصدرا من معين واحد، فيغدو، الأدب وجها للسياسة والسياسة وجها للأدب (زرِؤم، 2015، ص 195).

فالناقد الإنجليزي تيري إيجلتون يرى بأن نظرية الأدب الحديثة جزء من التاريخ السياسي والأيديولوجي لعصرنا، وأنها مرتبطة بشكل لا ينفصم بالمعتقدات السياسية والقيم الأيديولوجية، وأن الحديث عن نظرية أدبية تقوم على الجمال الخالص هو مجرد وهم كبير، وأن كل نقد أدبي هو في الوقت ذاته نقد سياسي، أو على حد قوله: "فكرة أن هناك أشكالا غير سياسية من النقد هي ببساطة خرافة، والفرق بين نقد سياسي ونقد غير سياسي، هو مجرد الفرق بين رئيس الوزراء والملك، فالأخير يدعم غايات سياسية معينة بالتظاهر بأنه لا يفعل هذا، بينما لا يخفي الأول ذلك" (إيجلتون، 1991، ص 231).

ويتجلى تناغم الادب والسياسة في الخطاب الناتج عنهما واللغة المعبر بها، فالسياسة واللغة قرينتان متلازمتان، فليس من قول في السياسة إلا خلفه فعل سياسي لأن القائمين على أمور العباد لا ينشدون أشعارا وهو يسوسون، ولا يطمحون إلى صنع الجمال وهو يحكمون، وما من فعل سياسي إلا وينتج

بالضرورة خطابا، فإما هو خطاب الحاكم فهو ساعتئذ امتداح وتبرير، وإما هو خطاب المحكوم فهو تظلم وارتياد إلى الأفضل (المسدي، 2007، ص 15).

2ـالأدب والسياسة لا تربطهما أية علاقة

هذه الرؤية قاربت الموضوع بشكل سكوني، وفصلت بين الأدب والسياسة كمجالين مختلفين، مؤيدوها قالوا بأن الأدب أدب فحسب ولا علاقة له بأي شيء آخر، وعارضوا تسييسه بل وتدريسه كشكل من أشكال السياسة لأنها سياسة ضد قراءة الأدب ومن شأن ذلك أن يعريه ويبطل ما يناقش فيه على نحو عميق. وقد سبق لأرسطو أن قال: "إن المعايير التي تطبق على الشعر غير التي تطبق على السياسة، وغير التي تطبق على الصنائع الأخرى ".

أصحاب هذا الرأي يرون بأن الأدب والسياسة لا علاقة لهما ببعضهما البعض وأن اتحادهما يعد خطيرا على الإبداع الأدبي، لأن الأدب خطاب أنقى من البقية، وأنه يعاني إلى حد كبير من التعرض للتلوث من قبل المصالح الأخرى، لذلك يجب الابتعاد عن السياسة بإعتبارها مضرة للمؤلفين إذا أرادوا الحفاظ على جودة الادب.

فعندما يرتبط الادب بالسياسة فإن ذلك معناه استغلال الأدب، فيرتبط بالأيديولوجية ويصبح أدبا إيديولوجيا وليس أدبا خالصا بل شبه أدب لأنه يضع الأدب في خدمة شيء ليس أدبيا، فوضع الأدب بخدمة الحزب، السياسة، قضية ما، يشبه كثيرا أدوات التعبئة السياسية والحزبية المباشرة والبسيطة.

وهو ما عبر عنه الأديب الألماني الشهير برتولد بريخت ": لا يمكن للسلطة السياسية أن تستولي على الأعمال الإبداعية كما تستولي على المصانع ولا يمكن لها الاستيلاء على أشكال التعبير الأدبي مثلما يتم الاستيلاء على الرخص والتصاريح" (المومني، 2019، ص 369).

3- السياسة تستغل الأدب

لقد أثرت السياسة في الأدب على مستوى الشكل وتم استغلال الادب من طرف أصحاب السلطة لخدمة أهدافهم السياسية وكذا لتخليد أعمالهم وصفاتهم، كما أثرت في الأدب على مستوى المضمون فكانت الحروب مادة دسمة لكثير من الروايات والقصائد والقصص.

فالأدب قد يخدم السياسة بشكل إيجابي عندما يهدف إلى وصف أو تحليل أو نقد علاقة الحاكم بالمحكوم ويساهم في تكثيف الوعي والكفاح السياسي للتحرر من الاستعمار والاستبداد، أو لتوعية الرأي العام وتحفيزه نحو بناء الدولة أو ترقية الظروف الاجتماعية، وفي المقابل قد يستعمل الأدب بشكل سلبي سواءا عن قصد أو بالإكراه لتحقيق مآرب السلطة وطموحاتها، وبين هذا وذاك قد يتأثر الاديب بالسياسي ويجعله مثله الأعلى كما كان الحال بين غارسيا ماركيز وفيدل كاسترو وتوفيق الحكيم وجمال عبد الناصر أين عمم الاديب شخصية السياسي وجعلها شخصية قريبة محببة إلى نفوس الجماهير.

السلطة السياسة تنظر إلى الأدب بوصفه فاعلا في التغيير، ومؤثرا في حشد الطاقات المجتمعية، ولا تكترث فيما إذا كان ذلك النص أدبا جيدا أو رديئا، كما أنها لا تهتم بتلك الفوارق الكامنة بين الاجناس الأدبية فكلها إنتاجات أدبية تحدث أثرا، وهي خاضعة تحت سطوتها وتمر تحت رقابتها لتعبر إلى القراء عبر الترخيص الذي تمنحه، فتصادر السلطة الادب سلفا بسطوة المسموح والممنوع، ذلك أن أي أدب لا تعترف به لا يسمح له بالانتشار والتداول وإن تسرب رغما عنها فإن حظه من الشهرة قليل، وماتزال السلطات تطارد كل أدب منعته حتى تضيق عليه الخناق، فيضطر صاحبه إلى إعادة إنتاج مضامينه على نحو خاضع للقوانين التي وضعتها السلطة (العمري، 2017، ص 149)

ويستخدم رجل السياسة اللغة في خطاباته لتوجيه رسائله المختلفة معتمدا على سحرها وسلطتها على العقل ولا يكتفي بالفصاحة أو القدرة على البلاغة وإنما يتعدى ذلك إلى إختزال الفعل السياسي بخلق متصور ذهني جديد قائم على تشغيل تقنيات التغييب، فتقدم الأحداث بأغلفة من البلاغة والمجاز في ضرب من الإلهاء على أمل أن يتوارى الوعي بحقيقة الأسباب، فكثيرا من ردود الفعل السياسية عن كثير من الوقائع كانت بعبارات تكتسب بحكم إطراد التداول ثقلا رمزيا من قبيل : ضبط النفس، الفوضى الخلاقة، الانفراج، الحرب الباردة، توازن الدمار المتبادل .

كما أن كثير من الأدباء يتسولون بالسياسة وأهلها من أجل جلب الحظ لأعمالهم ونشرها وترويجها، إلا أن ذلك قد يأخذ منحى آخر؛ إذ تعلي السياسة

من شأن كثير من النصوص الأدبية التي قد لا تستحق ما تناله من حظوة إذا ما قيست بنصوص أخرى لم تنل الحظ الوافر نفسه من دعم السياسي لها، وكما ترفع السياسة من شأن النصوص الأدبية فإنها ترفع أيضا من شأن أصحابها وتحط من شأنهم.

قد يحاول كثير من الأدباء المشاركة في السياسة عبر أساليب مبطنة و ملتوية، وقد تقهر السياسة الأدب بسطوة التأويل، إذ يعاد تأويل العديد من الاعمال الأدبية الصرفة لتصب في حقل سياسي وكأن السياسة غاية كل أديب، كما قد يقهر السياسي الأديب بفرض أدب المناسبات الذي يدور حول النظام السياسي، أو من خلال تخليد نصوص أدبية وإنزالها منازل لا تستحقها إذا نظر إليها من حيث هي أدبية ولكن نوع مشاركتها السياسية فرضتها بقوة، وفرضت لها الصدارة في ميدان الادب أيضا (العمري، 2017، ص. ص. 150 - 151)

فانغماس الأدب بشكل تلقائي فيما تصبوا إليه السياسة يجعله منتقدا ومكشوفا، ولذلك يرى الماركسيون الجدد أن انغماس المثقف في البناء العلوي للدولة، يفقده استقلاله فلا يعود عضوا في الطبقة الوسطى بل أجير ينتمي للبروليتاريا وحين يتمكن السياسي من تدجين الأديب يوجد ما يسمى أدب السلطة ويتحول الأديب إلى بوق إعلامي ويفقد هامش حريته (المومني، 2019، ص369).

يبقى أن الاديب لا يستطيع أن ينجو من تأثير السياسة فيه، فهو لا بد متأثر بها حتى لو كان بعيدا عنها، كما أن أدبه لا بد وأن يلتقي بالسياسة، وقد يحاول السياسي أن يفرض سيطرته على الأديب ويجعله تابعا له وعندما يرفض ويأبى ذلك يدفع الثمن بالتضييق عليه أو سجنه أو مصادرة أعماله وربما أشد من ذلك و التاريخ يزخر بأسماء أدباء كان لهم طموح سياسي ودفع بعضهم ضريبة ذلك غالية كعمرو بن كلثوم، أبو الطيب المتنبي، عبد الحميد الكاتب، فولتير وفيكتور هيجو.

وعلى مستوى آخر وخلال فترة الحرب الباردة استغل السياسيون الادب من خلال الأساليب المعتمدة من الجانبين لدراسة الطرف الآخر ووضع الخطط

والاستراتيجيات، فقد تردد أن المخابرات الأميركية، ساعدت في الترويج لاتجاه الحداثة وما بعد الحداثة في الإبداع والنقد الأدبي، من أجل الحد من امتداد مدرسة الواقعية الاشتراكية (حسن عمار علي، 2014).

4-الأدب ضروري للسياسة

يرى الكاتب الايطالي ايتالوكا لفينو أن الأدب ضروري للسياسة عندما يعطي صوتا لمن لا صوت له، ويعطي اسما لمن لا اسم له، فهو كالأذن التي تستطيع سماع أشياء أبعد من نطاق فهم لغة السياسة أو كالعين التي تستطيع أن تبصر أبعد من نطاق الطيف الذي تلاحظه السياسة.

يهتم الأدب بالأحوال السياسية والاجتماعية للشعوب ويتناول مختلف القضايا والأزمات ونقد القهر السياسي ونقضه، والمطالبة بالحرية عن طريق التعبير عن أساليب القهر السياسي بتصوير واقع القمع والاضطهاد والتعذيب الذي سيطر على الحياة السياسية في دولة ما، فقد ناهضت الرواية العربية القهر السياسي والإرهاب الفكري والتعذيب، بحيث عبرت عن رفض الشعب العربي للاستعمار وحثت على مقاومته (خميس، 2018).

فالأدب أداة للوعي وللتغيير السياسي والاجتماعي، يعبر عن روح الأمة وأزماتها وطموحاتها، من خلال تنوير الجماهير والقادة بحقيقة الأوضاع السياسية والاجتماعية وتجسيد أزماتها العامة، فقد مثلت العديد من الأعمال الأدبية قمة الكفاح السياسي والأدب الاجتماعي الملتزم بهموم الشعب وتطلعاته وتتجلى رواية فيكتور هيجو البؤساء كأبرز مثال على ذلك عندما حاول من خلالها تصوير عالم المتسلطين وذوي النفوذ وتحريضه على التحرر من الكبت والدعوة إلى الثورة كما جسد الخطاب الذي ألقاه مارتن لوثر سنة 1963 سبيلا للإنعتاق من العبودية ودعوة للتغيير .

ونظرا لكون الأدب يساهم في صياغة شخصيتها القومية، وبلورة هويتها الحضارية، أستعمل كمصدر أساسي لدراسة الشعوب، فقد اتجهت بعض الدول إلى فحص الإنتاج الأدبي عند الآخرين للتعرف من خلاله على بعض جوانب تكوينهم النفسي والاجتماعي، فاهتم الإسرائيليون بدراسة الأدب العربي وراحوا يترجمونه، ومن خلال الاستشراق عمل الغرب على دراسة

الموروث والانتاج العربي لمعرفة الخصائص العربية النفسية والعقلية والاجتماعية والثقافية، وفي المقابل اهتمت بعض مراكز البحوث العربية في دراسة الأدب الصهيوني للغرض نفسه (مفيد أحمد، 2020) .

كما كلفت المخابرات الأميركية عددا من أساتذة الأدب الياباني بجامعات الولايات المتحدة، خلال الحرب العالمية الثانية، بتحليل الأدب الياباني للوقوف على خصائص الشخصية اليابانية. ولما اشتد التنافس بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفييتي السابق، اتجه جهاز المخابرات الأميركية إلى العناية بالأدب السوفييتي للتعرف على ملامح المجتمع الروسي (حسن عمار علي، 2017).

ومن جانب آخر تم توظيف الادب في الاتصال السياسي في صورة مجموعة من الرسائل المرسلة من جهة رجال السلطة إلى الناخبين بالاعتماد على الحوارات والخطابات المؤثرة، فقد استثمر لينين معرفته بالأدب الكلاسيكي بشكل جيد في تخطيطه للثورة البلشفية، كما كانت اللغة حاضرة في خطابات الزعماء والسياسيين في المناسبات المختلفة وخاصة المتأزمة منها وكانت سببا في تغيير الواقع، وساعد على ذلك بشكل كبير تطور وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، فقد كشفت أحداث الربيع العربي في البلاد العربية بعض الظواهر المتصلة بذلك كتوظيف الخطاب الأدبي للتأثير والاستقطاب و كذا ارتباط لغة السياسة باللغة الأدبية، وما إطلاق وصف الربيع على تلك الأحداث إلا توظيف للغة الاستعارة للتأثير في الناس .

ثانيا: سياسة الأدب

في كتابه الموسوم بسياسة الادب تخطى الفيلسوف الفرنسي جاك رانسيير عتبة الفرق بين الأدب والسياسة وكشف عن مضامين أخرى، مضامين للسياسة والادب والديمقراطية تتعلق بمواجهة حول أساليب رؤية الواقع وتنظيمه **والمساواة واتاحة الفرصة لأي كان لأن يسمع ويسمع له.**

يعتبر رانسيير أن سياسة الأدب ليست سياسة الكتاب؛ فهي لا ترتبط بالتزاماتهم الشخصية في الصراعات السياسية أو الاجتماعية لعصرهم، كما أنها لا ترتبط بطريقة تصويرهم للبنى الاجتماعية أو الحركات السياسية أو

الهويات المختلفة في كتبهم، فعبارة سياسة الأدب تنطوي على أن يقوم الأدب بوصفه أدبا بممارسة السياسة (رانسيير، 2011، ص، 07).

ما يقصده رانسيير بسياسة الأدب هي تلك السياسة التي يشكلها الأدب من خلال ممارساته ومن خلال اشتباكه مع الواقع، فالطرق المختلفة للعمل على الكتابة هي ما تخلق سياسة للأدب، وتتيح له التفاعل مع واقعه وإصراره على تأسيس سياسة نصية مستقلة والعمل من خلالها، وتتقاطع هذه السياسة بخصوصيتها وصيرورتها مع الواقع لا باعتبارها مجرد تابع لصراع سياسي راهن.

ففهم الأدب للسياسة نابع من دقته في تشكيل مجال عمله ورغبته في الانتماء إلى الواقع المشترك من خلال محاولة تغييره على طريقته: " إنه باختصار، إحساس آخر وطريقة أخرى في ربط قوة العاطفة الحساسة مع قوة الدلالة وبناء على ذلك مجتمعا للحواس والمحسوس، وعلاقة أخرى للكلمات بالكائنات، وعالما مشتركا آخر، وشعبا أخر أيضا " (رانسيير، 2011، صفحة 19).

سياسة الأدب تفترض أنه لا مكان للتساؤل فيما إذا كان على الكتاب أن يمارسوا السياسة أو أن ينذروا أنفسهم لنقاء فنهم، بل إن في هذا النقاء نفسه ما يربطه بالسياسة، كما تفترض وجود صلة جوهرية بين السياسة بوصفها شكلا خاصا من الممارسة الجماعية والأدب بوصفه ممارسة محددة.

فالأدب يستخدم نظاما جديدا للدلالة قوامه علاقة علامة بعلامة أخرى، علاقة مدونة على الأشياء الصامتة وعلى جسم اللغة نفسه، فهو نشر وفكر لرموز هذه العلامات المكتوبة حتى على الأشياء، في حين أن الكاتب هو عالم الآثار الذي يجعل الشواهد الصامتة للتاريخ المشترك تتكلم، فالسياسة تعمل على الكل والأدب يعمل على الوحدات، وأن شكله الخاص في تغيير الاتجاه يقوم على خلق أشكال فردية جديدة تفك التوافقات القائمة بين حالة الأجسام والدلالات (حسين هيثم، 2015).

ثمة رابطة جوهرية بين السياسة بماهي شكل خاص من الممارسة الجماعية والادب بما هو ممارسة خاصة بفن الكتابة لا شيء يفصل بينهما ولا شيء يفصل الكتابة النظرية عن الممارسة العلمية، وأن الرابط الحقيقي بين السياسة والادب هو فكرة الممارسة الجماعية المشتركة بينهما، وهنا يتغير مفهوم

السياسية تغيرا جوهريا، فبدلا من النفوذ والقوانين وتنظيم للسلط وأجهزة التحكم بالبشر، يتشكل نمط خاص من الجماعة، ثمة سياسة حيثما ثمة أنماط من تشكيل المشترك (المسكيني، 2014، ص 319).

يستدعي رانسيير في نطاق تفسيره لسياسة الادب عدة مفاهيم من مجالات مختلفة ويجدد مقولات ويقترح مفاهيم إستكشافية من قبيل: الحياة المشتركة، توزيع المحسوس، الفلانية السياسية، جماعة المتساوين، الادب الديمقراطي.

01ـالحياة المشتركة وتوزيع المحسوس

كل من السياسة والأدب، يخترع ضربا من توزيع المحسوس، وتدبير ما للحياة المشتركة، بيد أنه غالبا ما تخلط السياسة بممارسة السلطة والصراع على الحكم مع أنها ماهي إلا تكوين لحيز من خبرة خاصة يتم فيه تعيين بعض الأهداف المشتركة، وينظر فيه إلى بعض الأشخاص على أنهم قادرون على تحديد هذه الأهداف وسوق الحجج بشأنها.

يعد حقل الادب أحد الأشكال النموذجية لتوزيع المحسوس، فنحن حينما نكتب إنما نكتب لأي كان فنعيد توزيع المحسوس بالقضاء على السلم الاجتماعي المعطى والجاهز، ونعطي الحق للجميع في الانتماء إلى فضاء يتسع لكل الناس ففن الكتابة يخلق إذن إشتراكا في المحسوس بخلقه لشكل آخر من المساواة بين كل القراء الممكنين، وذلك معناه أن الأدب لا يعترف بأية طبقية ولا أفضلية بين البشر، فكل صفحة نكتبها هي قابلة لان تقرأ من طرف أي كان مهما كان لونه وانتماؤه وطبقته الاجتماعية (المسكيني، 2014، ص313).

يستعيد رانسييرهنا تعريفا أرسطيا للسياسة، فأرسطو كان يعتبر البشر كائنات سياسية لأنهم يمتلكون الكلام الذي يعبر عن العدل والظلم في حين أن الحيوانات تمتلك الصوت فقط الذي يعبر عن اللذة أو الألم، وبالتالي فالنشاط السياسي كله هو صراع من أجل تحديد الفرق بين ما هو كلام خاص بالبشر وما هو صوت أو صراخ خاص بالحيوانات، بين مجموعة تفكر في عالم مشترك وبين حيوانات هائجة أو متوجعة، ولأن الحرفيون ليس لهم

الوقت للاشتغال بالسياسة فهم كالحيوانات لا يملكون غير القدرة على التوجع؛ ممنوعون من السياسة، لكن تبدأ السياسة حينما يأخذ هؤلاء هذا الوقت الذي لا يملكونه كي يثبتوا أنهم كائنات ناطقة تساهم في عالم مشترك وأنهم ليسوا حيوانات غاضبة أو متألمة (رانسيير، 2011، ص. 08) .

إن هذا التوزيع وإعادة التوزيع للفضاءات والازمنة والأمكنة والهويات والكلام والضجيج والمرئي واللامرئي يسميه رانسيير «تقاسم المحسوس» الذي يعمل النشاط السياسي على إعادة صياغته، فيضم إليه أشياء وأشخاص جدد وهو يجعل مرئيا ما كان غير مرئي، ويجعلنا نصغي إلى هؤلاء الكائنات الناطقة التي لم نكن نصغي إليها سابقا إلا كحيوانات صاخبة

تقوم فكرة الإشتراك في المحسوس لرانسيير على ثلاث أطروحات:

- الخروج من براديغم الحداثة بأشكالها سواءا تعلق الامر بالحداثة أو بما بعد الحداثة أو بالحداثة المغايرة أو المضادة.
- إقتراح مفهوم جماعة المتساوين كشكل جديد من الذاتية الجماعية القائمة على المشاركة في المحسوس وإعادة توزيعه توزيعا عادلا.
- الدفاع عن الفن بوصفه ضربا من خرق الإجماع في اتجاه التخلص من المحسوس المعطى القائم على الهيمنة واختراع أشكال أخرى من العيش المشترك (المسكيني، 2014، ص. 308).

يراهن رانسيير على اختراع شعب منظور إليه لا بوصفه ماهية عرقية أو قومية جاهزة بل بوصفه فلانيات حرة قادرة على أن تكون أيا كان في جماعة من المتساوين، هذه الجماعة لا علاقة لها بأية هوية سابقة عليها، فبدلا من مفهوم الطبقة يقترح مفهوم الفلانية حيث يكون لأي كان الحق في تقاسم المحسوس وبدلا من الفصل بين ماهو إيديولوجي وعلمي وبدلا عن الشيوعية يقترح ان لا مستقبل في انتظارنا بل لدينا الكثير من العمل ضد كل الأرواح اليائسة من إمكانية إعادة توزيع المحسوس توزيعا عادلا، لان عصر السرديات الكبرى قد أفل وأفلت معه كل إمكانيات التنبؤ بتاريخ البشر (المسكيني، 2014، ص. 308).

يتعلق الامر إذن بإستدعاء لمفهوم المساواة من ميدان الفكر السياسي إلى ميدان التفكير بالممارسات الفنية، وهنا يحيلنا رانسيير إلى ما يسميه جماعة المتساوين بوصفها جماعة تمر بالضرورة عبر شكل من الفلانية، فنحن لم نعد إزاء المحسوس المعطى إنما نحن إزاء ضرورة تكسير بديهيات من أجل المشاركة في اختراع ضروب مغايرة من الإحساس ومن الشعور ومن الوجود الحسي.

إن جماعة المتساوين تشمل ما يسميه رانسيير أولئك الذين لا نصيب لهم ولا مسكن ولا أوراق ولا جوازات سفر....مقولات اجتماعية واشكال أخرى من الذوات التي لا يمكن إحالتها على جماعة اجتماعية، ذلك هو المعنى الجديد للذاتية السياسية التي تتكون لدينا ضمن الاشتراك في المحسوس، ذاتية سياسية جمالية لا تنفك عبر الفعل الفني عن تعكير صفو المحسوس المعطى من أجل إعادة توزيعه من جديد، يتعلق الأمر بجموع أو جماهير أو شعوب تتدفق من رحم الكينونة بوصفه سيلانا دائما للإبداع و لاختراع أجساد مغايرة للأجساد الخاضعة للهيمنة (المسكيني، 2014، ص 314) .

02- الأدب الديمقراطي

ليست الديمقراطية عند رانسيير شكلا للدولة، فهي دوما أقرب وأبعد من تلك الأشكال، أقرب بوصفها الأساس المساواتي الضروري والمنسي بالضرورة للدولة الاوليجاركية، وأبعد بوصفها النشاط العام الذي يقف ضد ميل كل دولة إلى الاستئثار بالمجال المشترك وإفراغه من السياسة، فكل دولة هي دولة أوليجاركية (رانسيير، 2012، ص 89).

يقدم رانسيير انطلاقا من مفهوم الاشتراك في المحسوس مفهوما مغايرا للديمقراطية بوصفها " تقاسما للمحسوس"، فيكون الأدب أدبا ديمقراطيا بوصفه إعادة تقسيم للأمكنة، وللأوقات، وللمواقع، وللهويات، وللكلام، وللصخب، وللمرئي، ولغير المرئي، أدب يمثل شكلا من الديمقراطية المغايرة لديمقراطية السلع والأجندات العالمية، شكل من الاشتراك في المحسوس، إنها الفعل الذي ينتزع دون توقف من الحكومات الأوليجاركية احتكار الحياة العامة، ومن الثروة القدرة الكلية على الحيوات، إنها القوة التي يجب أن

تحارب ضد خلط تلك السلطات في قانون واحد ووحيد للسيطرة (المسكيني، 2015) .

فالديمقراطية تم تشويها وتم الابتعاد عن جوهرها العميق وذلك بتحويلها إلى إشباع رغبات الجماهير الاستهلاكية الحديثة، حيث تنتخب الأغلبية الأقلية ثم تنسحب إلى الحياة العامة منتظرة إنجاز الوعود، وذلك حال الأنظمة الديمقراطية الغربية التي تحولت فيها الدول إلى اوليجاركية وتحولت الشعوب إلى شعوب استهلاكية، واستأثرت الدولة بالمجال المشترك وأفرغته من السياسة، وتم التخلي عن معنى الديمقراطية الحقيقي والذي يعني شكل جديد من توزيع المحسوس على نحو عادل إنطلاقا من تحول عميق في ماهية الذاتية السياسية نفسها.

رانسيير يقترح تصورا جديدا للذاتية السياسية، كل منا هو قدرة على أن يكون أيا كان، وهذا يعني أننا لسنا بكائنات ملقاة هكذا في العالم، إنما نحن أيّ كانيّات (quiquonques)قادرة على أن تكون كونية حيثما حلت، تصور يقوم على الفلانية السياسية القائمة على "جماعة المتساوين"، كل الناس إذا وأيا كان في هذا الفضاء الديمقراطي إنما هم بالضرورة قادرون على الفعل السياسي، فالسياسة ليست حكرا على أقلية تمثل الشعب عبر صناديق الاقتراع، والمساواة هي أن تكون مع الناس وأن تكون لا أحد. (المسكيني، 2015).

فالأدب بوسعه أن يكون ديمقراطيا، هنا تكمن ديمقراطية الكتابة، فصمتها الثرثار يلغي التمايز بين أناس الكلمة الفعل وأناس الصوت المتألم والصارخ، بين هؤلاء الذين يؤثرون وهؤلاء الذين لا يفعلون سوى أن يعيشوا. إن ديمقراطية الكتابة هي نظام الرسالة الحرة، التي يمكن لكل واحد أن يضعها في حسابه، أي كان أن يأخذها على عاتقه.... " (رانسيير، 2011، ص 18).

يتعلق الأمر بتغيير تام لنظام الكتابة في اتجاه شكل دقيق من المساواة الأدبية التي تجعل المساواة الاجتماعية والسياسية أمرا ممكنا، وهي ديمقراطية تجد أهم مظاهرها فيما يلي (المسكيني، 2015):

- ضد مبدأ تقسيم المجتمع إلى أناس يعملون وأناس يفكرون؛ أي إلى نخبة تكتب وشعب يعمل، لهدم فكرة البطل التقليدية وترك المكان لبطولة الكائنات عديمة الاسم، وتعميم القدرة على أن يصير كل إنسان أيا كان، "الأيكانية".

- الديمقراطية الأدبية تعني إعادة توزيع للمحسوس، حيث يقع بعثرة التمييز التقليدي بين التخييل والحياة اليومية، فحينما نكتب وفق ديمقراطية الأدب ليس ثمة أي معنى، ولا أي ضرورة، ولا أي حقيقة تعين لنا ما نكتب، أو تقودنا إلى نهاية ما.

- ديمقراطية الأدب لا تراهن على فعل ما يوجه نحو غاية محددة في معنى الالتزام، فالرواية الحديثة لا تقص سلسلة من الأحداث، إنما تظهر نسيج عالم قائم على تشابك تجارب فريدة متساوية في الكينونة الأدبية.

- إن ديمقراطية الأدب الحديث تجعلنا ضمن نظام مساواة معممة، حيث تتمتع كل العلامات ضمن حقل المحسوس بالقيمة الأدبية نفسها.

- الرواية الديمقراطية رواية انفلتت في خطوط هروب نحو لقاءات عابرة لأي كان ولأي شيء، إن ما كان أمرا عديم الجدوى وعديم الاسم وعديم الكينونة هو الذي أنجز انقلابا في النسيج الحسي، أي في تقاسم المحسوس.

ينتهي رانسيير للقول بأنه لا توجد سياسة واحدة للأدب، فهذه السياسة مزدوجة على الأقل، فالتحجر الذي يعيبه على الادب نقاد القرن التاسع عشر الرجعيون ونقاد القرن العشرين التقدميون في آن واحد هو في الواقع تشابك منطقين، فهو من جهة يدل على إنهيار منظومة الفوارق التي ترد النماذج الى التراتبيات الاجتماعية ويحقق المنطق الديمقراطي في الكتابة من دون معلم ولا مخاطب وقانون مساواة جميع الافراد واهلية جميع العبارات، ومن جهة أخرى فهو يقابل الكتابة بشعرية جديدة تبتدع قواعد أخرى في التطابق بين دلالة الكلمات ورؤية الأشياء . (رانسيير، 2011، ص 28).

خاتمة

من خلال تناولنا لموضوع الأدب السياسي وسياسة الأدب يمكن إستعراض النتائج التالية:

- لقد تغيرت طبيعة العلاقة بين الأدب والسياسة فكف الأدب أن يكون صورة فنية يتزين بها الفعل السياسي وكفت السياسة أن تكون مطية للأدب، بل أصبح الادب جزء محايث لمضمون الخطاب السياسي سواءا جاء خبرا أو تراءى موقفا أو صيغ قرارا، ولم يعد الادب نصا يقوم على تسلسل الصور وإنما أمسى نصا ينبني على الصورة القائمة بذاتها.

- إستعمال الأدب للسياسية والسياسة للأدب حقيقة قائمة، لكن لم يعد كافيا حصر العلاقة القائمة بينهما في أوجه الاختلاف وأوجه الاتفاق، وإنما وجب البحث في وظيفة الأدب الجديدة التي استمدها من السياسة التي يمارسها في حياة الناس، ذلك أن كل ما يعني الناس في معاشهم وثقافتهم ينطوي على سياسة.

- لا تكفي المقارنة بين الظاهرتين وإنما يجب الذهاب لما هو أبعد من ذلك لإعادة التقييم من حيث الواقع والخيال، ذلك أن تركيز الأدب والسياسة على المرئي فقط لا يكفي في حضور اللامرئي القائم على النوايا والمقاصد.

- حسب جاك رانسيير فإن للأدب شكلا سياسيا خاص به نابعا من فن الكتابة في حد ذاته بعيدا عن سياسات الكتاب يتميز بشكل من أشكال الديمقراطية، يتيح له أن يصبح في متناول الناس العاديين وأصبحت كل المواضيع صالحة، فالأدب صار هو نفسه سياسة من سياسات المحسوس.

- الرابط الحقيقي بين السياسة والادب هو فكرة الممارسة الجماعية المشتركة بينهما، فالسياسة لم تعد نفوذ وقوانين وسلطة بل أصبحت نمط خاص من الجماعة والإشتراك، اشتراك في العيش معا دون التصادم مع الآخر وذلك بتوزيع المحسوس توزيعا عادلا، أين تصبح السياسة والادب في متناول الجميع، في متناول أولئك المبعدين من المجال العام، لذلك يعاد تعريف الفضاء العام بإتاحة الفرصة لمن هم خارج دائرة التعريف السياسي بالمشاركة في خلق المبادرة.

- تحقيق الديمقراطية الأدبية يقتضي التخلي عن أية تراتبية بين المواضيع والشخصيات، فليس هناك مواضيع رفيعة وأخرى رديئة لأن المساواة مبدأ ومنطلق كل ديمقراطية تناضل من أجل منع احتكار شكل الحياة المشتركة بين بشر متساوين منذ البداية، تكرس شكل جديد من توزيع المحسوس انطلاقا من تحول عميق في ماهية الذاتية السياسية .

قائمة المراجع:

- إيجلتون، تيري. (1991)، مقدمة في نظرية الأدب. (ترجمة: أحمد حسان). القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- أحمد، مفيد. (2020.10.15) . جدلية العلاقة بين السياسة والادب. https://bit.ly/3uyUqsi . تاريخ التصفح : 2021/03/02.
- حسن، عمار علي. (3 /01/ 2014). الأدب والسياسة علاقة خاصة جدا . في جريدة الاتحاد. https://bit.ly/3uz1dCphtt .تاريخ التصفح : 2020/12/15.
- حسن، عمار علي. (2017 سبتمبر). فتش عن السياسة. في البيان. https://bit.ly/3Dbi01d تاريخ التصفح : 2020/12/15.
- حسين، هيثم. الطعن بالمستحيل في العلاقة بين الأدب والسياسة. (2015/05/04) . العدد: 9907. السنة: 37. لندن: صحيفة العرب. https://bit.ly/3l3BkHv تاريخ التصفح: 2020/06/12.
- خميس، أحمد. (24فبراير 2018). كل شئ سياسة حتى الأدب. مؤسسة الفكر الإسلامي. https://bit.ly/3Fg8NXB . تاريخ التصفح : 2021/04/12 .
- دار الإعلام العربية. (5 يونيو 2011). الأدب السياسي والبحث عن متنفس. في البيان https://bit.ly/3a1fHRV تاريخ التصفح : 2021/03/09.
- رانسيير، جاك. (2012) . كراهية الديمقراطية. (ترجمة: أحمد حسان). لبنان: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- رانسيير، جاك. (2011) . سياسة الأدب. (ترجمة: سهيل أبو فخر). دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- زرؤم، عبد الحميد محمد على. (2015) . مقاربات الأدب السياسي عبر الأدب دراسة تحليلية. مجلة الدراسات الأدبية واللغوية، (2)، ص ص 190-209.
- المسدي، عبد السلام. (2007). السياسة وسلطة اللغة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- المسكيني، أم الزين بن شيخة. (2014) . رانسيير وفن المشترك نحو ماركس مغاير. في علي عبود المحمداوي (محرر). الماركسية الغربية وما بعدها: التأسيس والانعطاف والاستعادة. (ص ص 307-325). الجزائر: منشورات الاختلاف.
- المسكيني، أم الزين بن شيخة. (2015) . الأدب والديمقراطية في تأويل جاك رانسيير. مجلة ألباب، (5). https://bit.ly/39Zr1xY تاريخ التصفح : 2021/04/23
- المومني، رؤى حيدر. (2019) . مفهوم الادب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الادب والسياسة. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية. 46، (02)، ص ص 361-378.
- العمري، فاطمة محمد أمين وعزام، حذيفة عبد الله. (2017) . إشكالية العلاقة بين الخطاب الأدبي والسياسة. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية الجامعة الأردنية، 44، (04)، ص ص 145-155.